

**فاعلية تعليمية الظواهر اللغوية
في كفاءة المتعلمين اللغوية والتواصلية**

الطالب: بن زيادي عمر (جامعة وهران 01-أحمد بن بلة)
إشراف: أ.د. مطهري صفية (جامعة وهران 01-أحمد بن بلة)

تاريخ النشر: 2020 / 06 / 30	تاريخ القبول: 2020 / 02 / 25	تاريخ الإرسال: 2019 / 02 / 11
ملخص:		
<p>تعدّ اللغة الوعاء الحافظ للثقافة والمعرفة والناقل لمكوناتها، فهي من أبرز أدوات الاتصال والتواصل، وعليه فإن تدريس الظواهر اللغوية يكتسي أهمية كبيرة وبالغة في العملية التعليمية التعلمية، لأنّ اللغة هي الأداة الصانعة والمركبة للمعالم النفسية لشخصية المتعلّم.</p> <p>فتعليمية الظواهر اللغوية من أبرز وظائفها التواصل في إبلاغ رسائل المعلمين و المتعلمين. فهي تقوم بوظيفة التواصل والتبليغ والإخبار من خلال إيصال مراد المعلم و المتعلم، فإذا تحققت الكفاءة اللغوية من خلال تعليمية الظواهر اللغوية عبر مراحل التعليم الأساسي(الابتدائي و المتوسط)، ستتحقق حتما الكفاءة التواصلية التي هي ملمح تخرّج المتعلمين.</p>		
الكلمات المفتاحية: اللغة؛ التعليمية؛ الظواهر اللغوية؛ الكفاءة اللغوية؛ الكفاءة التواصلية.		
<p>Summary :</p> <p>Language is the container of culture, knowledge and conveyor of its components. It is one of the most important tools of communication and communication. Therefore, the teaching of linguistic phenomena is of great importance in the educational process, because the language is the tool and the composite of the psychological characteristics of the learner's personality.</p> <p>The educational linguistic phenomena of the most prominent functions communicate in communicating the messages of teachers and learners. If the language proficiency is achieved through the teaching of linguistic phenomena through the stages of basic education (primary and intermediate), the communicative competence that is the sign of the graduates' graduation will be realized</p>		
Keywords : Language; educational; linguistic phenomena; language proficiency.		

مقدمة:

تعدّ اللغة الوعاء الحافظ للثقافة والمعرفة والناقل لمكوناتها، فهي من أبرز أدوات الاتصال والتواصل، وعليه فإنّ تدريس الظواهر اللغوية يكتسي أهمية كبيرة وبالغة في العملية التعليمية التعلمية، لأنّ اللغة هي الأداة الصانعة والمركّبة للمعالم النفسية لشخصية المتعلّم .

فتعليمية الظواهر اللغوية من أبرز وظائفها التواصل في إبلاغ رسائل المعلمين و المتعلمين. فهي تقوم بوظيفة التواصل والتبليغ والإخبار من خلال إيصال مراد المعلم و المتعلم، فإذا تحققت الكفاءة اللغوية من خلال تعليمية الظواهر اللغوية عبر مراحل التعليم الأساسي (الابتدائي و المتوسّط) ، ستتحقق حتما الكفاءة التواصلية التي هي ملمح تخرّج المتعلمين ومن ثمّ نقول أنّ التواصل يعد من أبرز خصائص ووظائف اللغات بصفة عامة، بحيث لا يمكن إسقاط أو إبعاد وظيفة التواصل من الوظائف الكبرى والأساسية التي تؤدّيها اللغة في المجتمع الإنساني، وهو موضوع ظل محل اتفاق بين عدد كبير من اللغويين واللسانيين. وهو الفعل الذي أدى بكثير من اللسانيين إلى أن يُعرّفوا اللغة بأنها أداة للتواصل، وقناة للتخاطب، ووسيلة من وسائل الاتصال، والتفاهم بين الشعوب، وبين مختلف الأجيال...

و السؤال الذي نطرحه ما هي الكفاءات التي يكتسبها المتعلمون من خلال تلقّيهم لمجموعة من الدروس المتعلقة بالظواهر اللغوية؟ و كيف يتسنى للمعلم نقل التعلّمات من التلقين و الحشو إلى مجموعة من الكفاءات ترسخ في ممارسات المتعلمين؟

وللإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة الأخرى سنحاول أن نتطرق في مقالنا هذا إلى مجموعة من النقاط التي لها علاقة بتحقيق كفاءتي اللغة و التواصل لدى المتعلمين.

مفهوم الفاعلية:

اختلف الباحثون في تعريف الفاعلية، وتحرير مصطلحها نظراً لعوامل مختلفة منها الفلسفة التي تنطلق منها التعريفات، وكذلك المرحلة الزمنية المحاذية لمفهوم الفاعلية.

قد تتداخل مفاهيم الفاعلية مع الكفاءة ومع النجاح؛ فمن حيث المبدأ يمكن استخدام النعت "فعال" بشكل كميّ، ويمكن القياس والمقارنة بالقول أن عملية ما كانت فعّالة بشكل جيد جداً أو فعّالة بشكل أقل؛ في حين أن النجاح تعطي دلالة على الحد الذي وصل إليه الأثر المطلوب، وعلى المقدرة على إنتاج الكمية المطلوبة من أثر معيّن، أو النجاح في تحقيق هدف معيّن وذلك بغض النظر عن الموارد والجهد المبذول لتحقيق ذلك الهدف، وهنا يختلف مفهوم النجاح عن مفهوم كفاءة، إذ أنه في الأخير تؤخذ تلك العوامل الاقتصادية بعين الاعتبار. بالتالي ما هو فعّال ليس بالضرورة أن يكون ناجعاً، وما هو ناجع ليس بالضرورة أن يكون ذا كفاءة¹.

وثمة تجاذب بين مصطلحي (الفاعلية والفعالية)، فالبعض يفرق بينهما، والغالبية يجعلونها واحدة، ومن فرّق بينهما قالوا أن: الفاعلية: هي الأثر لأفكارنا على أرض الواقع، فكل عمل أو قول لا يحقق نتائج عملية يكون فاقد الفاعلية.

والفاعلية يستعاض بها بدلاً من اسم فاعل النشاط، مثل: مدى فاعلية برنامج تدريبي على أطفال منشأة تعليمية؛ فهي النجاح في تحقيق الأهداف وعادةً ترتبط بالكفاءة. حيث قالوا الكفاءة: فعل الأشياء بطريقة صحيحة، والفاعلية: فعل الشيء الصحيح.

أما الفعالية: فيستعاض بها بدلاً من اسم نشاط قائم، فهي التأثير والقدرة على إحداث أثر قوي. مثل: فعالية الأدوية المضادة للقلق.

والفاعلية مصطلح محدث، فقالوا: إنها القدرة على إحداث تأثير، وفي الطب: قدرة الإجراء الطبي أو الدواء على إحداث التأثير المراد.

الفعالية أو الفاعلية (Effectiveness) هي المقدرة على تحصيل النتيجة المطلوبة والمبتغاة والمتوقعة.

والفاعلية من مادة (فعل)، قال الفيروز آبادي: الفعل: حركة الإنسان، أو كناية عن كل عمل متعد ² وفي المعجم الوسيط: وصف في كل ما هو فاعل ³.

وقال مالك بن نبي: الفاعلية هي حركة الإنسان في صناعة التاريخ (إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع و التاريخ) ⁴.

وقيل إنها في المفهوم العام: العمل على بلوغ أعلى درجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف. ⁵

وهي تتسق مع الإيجابية في معانٍ مهمة أولها حمل الهم والشعور بالمسؤولية، يقول أحد الباحثين (الإيجابية: حالة في النفس تجعل صاحبها مهمومًا بأمر شرعي، ويرى أنه مسؤول عنه مسؤولية أدبية نابعة من ذاته، ولا يألو جهدًا في العمل له، والسعي من أجله) ⁶.

إذاً الفاعلية: هي قوة كافية داخلية تبعث في النفس القدرة على العمل الدؤوب والحركة المستمرة من أجل تحقيق أفضل النتائج على المستوى الفردي والاجتماعي في إطار التصور الإسلامي الصحيح.

مفهوم التعليمية:

تُعرّف التعليمية بأنها الدراسة العلمية لطرائق التدريس وتقنياته، وتعدّ علماً قائماً بذاته تنصبّ اهتماماته على الإحاطة بالتعليم، ودراسته دراسة علمية، وتقديم الأبحاث العلمية عنه، وذلك من خلال البحث في محتوياته، وطرائقه، ونظرياته، وهي ترجمة لكلمة DIDACTIQUE، والتي اشتقت من الكلمة اليونانية DIDAKTIKOS ⁷.

وقد تطوّر المفهوم واتّسع حتّى أضحيّ يعني فنّ التعليم، وهذا يعني أن التعليمية «تهتم بكل جوانب العملية التعليمية ومركباتها، من متعلمين ومدرسين، وإمكانيات، وإجراءات، وطرائق، إذن ف (التعليمية) تفكير وبحث ضروري لتجديد التعلم والتعليم.

ولتحقيق الأهداف المرجوة تركز التعليمية على مشكلات المتعلم، ومشكلات المادة، ومشكلات الطرائق، ومختلف إشكالات الوضعيات التعليمية التعلّمية، فهي تسلط الأضواء على المادة من حيث

وظيفتها، وأهميتها، ومميزاتها، وعلى المتعلم من حيث شخصيته، وقدراته، وميوله واهتماماته، وتنظر إلى المعلم من حيث قدرته على التحكم في طرائق التدريس، وتكوينه، ومدى تمكنه من استعمال مختلف الوسائل، والأساليب التي تفيده في التقييم.

ويذهب بعض الدارسين إلى أن التعليمية هي نظام من الأحكام، ومجموعة من الفرضيات المصححة، والمحقة التي تستهدف الظواهر التي تخص عملية التعليم، والتعلم، وكذلك فهي نظام من الأساليب تعتمد على التحليل والتوجيه.⁸

مفهوم الظواهر اللغوية:

يمكن الوقوف عند مفهوم الظاهرة اللغوية من خلال معرفة دلالة (الظاهرة) و(اللغة) وحينها يتجلى لنا المراد من هذا المركب الإضافي.

لم يرد في المعاجم العربية القديمة تعريف كلمة الظاهرة كما هو متعارف عليه في وقتنا الحديث، ولم تستخدم كلفظة مع دلالتها المستخدمة حالياً، وإنما جاءت لتصف حالة من حالاتها تتشابه مع اللفظ الحديث دون تطابق بينهما وهي مشتقة من مادة (ظهر) وتحمل معاني القوة والبروز والعلو والارتفاع والعلانية والمعاونة والمداومة والحفظ، وكلها معان واردة في ظهر وقد جاءت لفظة (ظاهرة) عندهم لتفيد معاني البروز والأعالي.

فالظاهرة: "مأخوذة من (ظهر) الذي يعني الوضوح والبروز والجلي، وأصل ذلك من (الظَّهر) وهو ظهر الشيء لأنه أبرز الأجزاء وأوضحها وأهمها في الإنسان والحيوان"⁹ و صيغتها (اسم فاعل) للمؤنث فنسبتها إلى اللغة تعني ظهور هذه الصفة في اللغة على وجه الشيوخ والمعرفة، ومفاده التبع والاستقراء لهذه الظاهرة، يقول ابن فارس: "والظاهرة: العين الجاحظة"¹⁰

والظاهرة: الشيء المتكرر المؤلف الذي يعتاده الناس ولا يستنكرونه أو يرون فيه شذوذاً أو خروجاً عن المؤلف. إذا فالظاهرة أمر شائع بين جماعة من الناس اعتادوا فعله بحيث يصبح عادة عندهم والمقصود بالظاهرة في هذه المقالة هو دراسة مسائل بارزة في تعليمية اللغة العربية خلال مرحلة التعليم المتوسط.

وقد عدت هذه الظواهر من خصائص اللغة الحية القادرة على مواكبة العصر وما يتجدد فيه من محسوسات ومعان تحتاج إلى وضع أسماء لهذه المسميات، وقد ذكر المحدثون من أهل اللغة والدارسون للعربية هذا المصطلح إلا أنهم لم يعرفوا به، ونجد ذلك عند الكثيرين¹¹ ويبدو أنّ ذلك يعود إلى طبيعة اللغة نفسها إذ أنّ اللغة من حيث حقيقتها تتصل بالعناصر- بالمكونات- الأساسية الأربعة للإنسان، ألا وهي الميدان الفيزيقي، والميدان العضوي، والميدان النفسي، والميدان الروحي، واللغة من حيث وظيفتها تحمل هذه الأربعة جميعاً على أن تتعاون فيما بينها تعاوناً فعالاً، وهذه الصفة المعقدة التي تتصف بها الظواهر اللغوية تجعل التحديد الدقيق للظواهر التي يشتغل بها علم اللغة أمراً بالغ الصعوبة¹²

الظواهر اللغوية في تعليمية اللغة العربية:

نقصد من وراء مصطلح "الظواهر اللغوية" أنّ تناول قواعد اللغة العربية دون تخصيص على ما اصطلح عليه باسم "نحو" ، فالقواعد أعمّ وأشمل ، وإن كان النحو نظاما عاما يمثّل جوهر اللغة ، وقلها النابض ، ففيه نظم فرعية، بدءا بنظام الصوت، فنظام الصرف، فالتركيب ثم نظام الدلالة ، أي أنه نظام كلي يتناول اللغة منذ أن تكون مجرد صوت إلى أن تكون دلالة ، ومعنى وتوصلا كاملا تاما بين المتواصلين¹³ .

ويطلق عليها أيضا مصطلح "قواعد اللغة العربية" التي هي عبارة عامة تتسع لقواعد النحو والصرف والبلاغة والأصوات والكتابة ، ولكن قواعد اللغة العربية فيما درجت الكتب المدرسية على تناوله له فتشمل قواعد النحو والصرف.

لها أهمية كبيرة إذ أنها تعمل على تقويم ألسنة الطلبة وتجنّبهم الخطأ في الكلام والكتابة وتعودهم على استعمال المفردات سليمة وصحيحة ، فضلا عن صقلها الذوق الأدبي لدى الطلبة وتعودهم صحة الحكم ودقة الملاحظة ونقد التراكيب ، وتعمل أيضا على شحذ عقول الطلبة وتدريبهم على التفكير المتواصل وتمكينهم من فهم التراكيب المعقدة والغامضة . كما أننا لا يمكن أن نقرأ قراءة سليمة خالية من الأخطاء ، ولا نكتب كتابة صحيحة إلا بمعرفة القواعد الأساسية للغة، فالخطأ في الإعراب يؤثر في نقل المراد إلى المتلقي¹⁴ .

تدريس تعليمية الظواهر اللغوية بالمقاربة النصية:

في اللغة مصطلح المقاربة يعني الدنو والاقتراب مع السداد وملامسة الحق ، ويقال : قارب فلان فلانا إذ دنا منه، كما يقال: قارب الشيء إذا صدق وترك الغلو، والقرب يعني أيضا أدخل السيف في القراب ، هذا عن المقاربة ، وبإعادة تركيب اللفظة (المقاربة النصية) يمكننا القول بأن هذه تعني بصورة إيجابية الدنو من النص و الصدق في التعاطي والتعامل معه بعيدا عن الحكم المصدق عليه، كما أن مصطلح المقاربة النصية في عرف استعمال النص اللغوي، نجده يقابل مصطلح آخر هو الدراسة اللغوية Company Confidential للنص أو لسانيات النص، وبما أنها دراسة لغوية ، فهذا يعني أنها لا تتخذ من الأحكام المسبقة منهجا له¹⁵

أما في الاصطلاح المقاربة تعليمية تبنتها العديد من المنظومات التربوية لتدريس اللغة العربية وهي تدعو إلى الانتقال من الجملة إلى مستوى بنية النص حيث تتجاوز ذلك إلى رصد كل الشروط المساعدة ، على إنتاج نصوص محكمة البناء و متوافقة المعنى¹⁶ ، بمعنى أنها تقتضي دراسة النص باعتباره محورا حاضنا لمجموع مكونات اللغة من حيث هي مكونات منسجمة و متسقة فيما بينها من نحو و صرف و عروض و بلاغة لتحليل بنية النص وكشف تركيبه وفهمه، كما أنها بمثابة اختيار بيداغوجي يقتضي الربط بين التلقي والإنتاج ويجسد النظر إلى اللغة باعتبارها نظاما ينبغي إدراكه في شموليته ، حيث يتخذ النص محورا أساسيا تدور حوله جميع فروع اللغة ويمثل البنية الكبرى التي تظهر فيها كل

المستويات اللغوية والصوتية والدلالية والنحوية والصرفية والأسلوبية وبهذا يصبح النص المنطوق أو المكتوب محور العملية التعليمية ومن خلالها، تنمي كفاءات ميادين اللغة الأربعة ويتم تناول النص على مستويين هما : المستوى الدلالي: ويتعلق بإصدار أحكام على وظيفة المركبات النصية (المعجم اللغوي، الدلالات الفكرية،...) إذ يعتبر النص مجموعة جمل مركبة مترابطة تحقق قصدا تبليغيا وتحمل رسالة هادفة المستوى النحوي: ويقصد به الجانب التركيبي لوحدات الجملة التي تشكل تجانسا نسقيا يحدد الأدوار الوظيفية للكلمات¹⁷.

لقد تبني المنهج هذه المقاربة واعتبرها من أهم عناصر التجديد في العملية التعليمية¹⁸. من خلال ما سبق نستنتج أن النص هو الوحدة الأساسية بل هو همزة الوصل التي تربط كل أنشطة الوحدة أو المقطع الواحد، بمعنى يجب الرجوع إلى النص دائما.

من المتعارف عليه أن الكتاب المدرسي الخاص بالسنة الأولى من التعليم المتوسط الذي يتماشى ومنهج الجيل الثاني يتبنى "المقاربة نصية نهجا" طبعا في ظل المقاربة بالكفاءات هدفا، والمقاربة بالكفاءات هي التي تجعل من المعارف المدرسة لدى المتعلم أدوات للتفكير والتصرف وتجعله يتعلم التفكير والملاحظة والتصور والتواصل والتحليل باستغلال معارفه في حل مشاكل وإنتاج نصوص.... فهي تقترح تعلم اندماجيا غير مجزء، وبالتالي فهي تسمح له بممارسة الأنشطة في وضعيات متنوعة في جميع مناحي حياته¹⁹. فالمقاربة بالكفاءات تركز على المادة المعرفية إلى منطق التعلم الذي يركز على المتعلم الذي يعد سببا وجيها في اختيار المقاربة بالكفاءات²⁰. ومن هنا فالمقاربة بالكفاءات هي طريقة في إعداد الدروس والبرامج التعليمية إنها تنص على:

* التحليل الدقيق للوضعيات التي يتواجد فيها المتعلمون أو التي سوف يتواجدون فيها

* تحديد الكفاءات المطلوبة لأداء المهام وتحمل المسؤوليات الناتجة عنها²¹.

الكفاية اللغوية والكفاية التواصلية:

-الكفاية اللغوية : يعدّ نواوم تشومسكي NoamChomesky "أول من استخدم مصطلح الكفاية اللغوية، إذ أنه وضع ثنائيته المشهورة المتمثلة في الكفاية، Compétence والأداء Performance وهي تمثل الدعامة الأساسية للنظرية اللسانية عنده، فقد استفاد من ثنائية فردينان دي سوسير القائمة بين اللغة والكلام.

عرّف تشومسكي الكفاية اللغوية على أنها: "قدرة المتكلم-المستمع المثالي- على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته²² حيث إن اللغة ليست مجرد أصوات، إنما القدرة على ربط الأصوات اللغوية و المعاني التي تؤدّيها، والتي تكون متناسقة مع قواعد لغته، وبتعبير آخر فإن الكفاية اللغوية هي التي تسمح للمتكلم بفهم وإنتاج عدد لا متناه من الجمل الجديدة، حتى لو لم يسبق له سماعها من قبل، وذلك انطلاقا من عدد محدود من الوحدات الصوتية، وهذا للتعبير عن الأفكار والدلالات. كما تسمح له

بالتمييز بين الجمل من حيث صحتها نحويا، مما يستدعي إحاطة السامع والمتكلم المثالي بأنظمة اللغة ومستوياتها المختلفة صوتية، صرفية، تركيبية ودلالية.

ويعني تشومسكي بالأداء: "التجسيد المادي لنظام اللغة في إحداث الكلام²³ بمعنى استخدام الفرد اللغة في مواقف حقيقية، ومن دون أن يكون هناك تطابق للكفاية و الأداء وبذلك فإن الكفاية اللغوية تمثل البنية العميقة للكلام، وأن الأداء الفعلي يمثل البنية السطحية، إذ لا وجود للأول دون الثاني، فالأصوات التي يلفظها الأفراد تكمن ورائها بنية عميقة تتمثل في مصدر المعاني التي تؤديها الأصوات.

والعمل اللغوي حسب تشومسكي فإن عمل اللغوي لا يكمن في دراسة البنية السطحية (الأداء)، إنما في دراسة البنية العميقة (الكفاية اللغوية)، وحقته في ذلك أن الإنسان أثناء ولادته يكون مبرمجا على اللغة، كون أن هناك فطرة لغوية يشترك فيها جميع البشر، فهي نعمة منحها الله للإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، إذا أنها تولد معهم وتنمو كذلك، فهي تنمو بواسطة ما يكتسبه الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا الاكتساب الذي يمنحه القدرة على توليد الجمل ضمن قواعد وقوانين، من خلالها يمكن للمتكلم أو المستمع المثالي أن يعرف الجمل الصحيحة نحويا وغير الصحيحة منها.

ومنه نستخلص مما سبق أن الكفاية اللغوية عند تشومسكي فطرية كونها موجودة لدى كل فرد منتم إلى جماعة لغوية معينة، وفي الآن ذاته إبداعية لأن أي متكلم يستطيع أن ينشئ كلاما لم يسمعه من قبل.

كما أعطى تشومسكي الأهمية للعقل البشري الذي يساعد الفرد على تصحيح أخطائه وعلى تعلم اللغة بسهولة، وقد ربط هذا العالم بذلك مصطلح الكفاية بقضية تعلم اللغة أو اكتسابها. ورغم ما قدمه تشومسكي من آثار ايجابية، إلا أنه لم يستخدم القواعد التي توصل إليها في تعليم اللغات، ربما يعود السبب في ذلك إلى تعامله مع اللغة المثالية، فهو يتعامل مع اللغة على أنها أداة للتواصل الاجتماعي. ومنه دعت الحاجة إلى البحث عن نظرية جديدة تتماشى و الواقع الفعلي، وتأخذ بعين الاعتبار المجتمع الذي نتكلم بها. وفي الوقت الذي كان فيه تشومسكي يبحث عن الكفاية اللغوية، دعا اللساني الاجتماعي الأمريكي ديل هايم (Dell Hymes) إلى البحث عن قواعد القدرة على التواصل التي تشمل القدرة اللغوية، لكنها تتعداها إلى استخدام اللغة في المجتمع، فظهر ذلك ما يسمى "بالكفاية التواصلية".

. -الكفاية التواصلية La compétence communication: يعتبر ديل هايمز أول من تطرق إلى مفهوم الكفاية التواصلية، وذلك أثناء دراسة له نشرت عام 1971 وهذا ردا على فكرة تشومسكي حول الكفاية والأداء، إذ رأى بأنها معزولة عن أي محيط تستخدم فيه.

ويرى هايمز أن الكفاية التواصلية: "هو تمكن الناطق باللغة المعينة بأنظمتها وقوانينها من جهة، والتمكن في الوقت نفسه من أساليب استعمالها بحسب المواقف والسياقات المختلفة".²⁴ بمعنى أنه لتحقيق كفاية التواصل لا يجب فقط معرفة اللغة أو النسق اللغوي، بل لابد أيضا من معرفة كيفية استخدام هذه اللغة في مختلف المواقف و السياقات الاجتماعية والنفسية والثقافية...إلى غير ذلك من السياقات.

ويعرّف دوجلاس براون الكفاية التواصلية على أنها شبكة معقدة متداخلة من الخصائص النفسية المنطقية، والاجتماعية الثقافية، والفيزيقية، واللغوية²⁵، حيث يربط الكفاية التواصلية بمختلف العوامل التي من شأنها أن تمكن الفرد من الإحاطة بها إذ على المتعلم أن يكون ملما بها، كونها تسمح له بالاستعمال الصحيح للغة.

إضافة إلى أن الكفاية التواصلية: "هي البحث عن قواعد القدرة على التواصل التي تشمل القدرة اللغوية، لكنها تتعداها إلى استخدام اللغة في المجتمع وعن القواعد الاجتماعية التي تحكم ذلك الاستخدام".²⁶ ومنه فإن هايمز لم يبلغ ما جاء به تشومسكي حول الكفاية اللغوية، إنما أضاف إليها القواعد الاجتماعية التي تحكمها، ويرى الباحث أحمد طعيمة أن الفرد يعرف بدقة متى يتكلم، ومتى لا ينبغي أن يتكلم، وماذا يتكلم حوله، ومع من، وأين، وبأي طريقة كان أسلوب الحديث²⁷، حيث هناك قواعد اجتماعية إضافة إلى القواعد اللغوية التي يتحكم استخدامها للغة في المواقف المختلفة.

وتتجلى الكفاية التواصلية في مجموعة من السمات الأساسية، تخلصها ساندراسافينون فيمايلي²⁸:

- تعتبر الكفاية التواصلية مفهوما متحركا، وليس ساكنا، كونه يعتمد على مدى استعداد الفرد لتبادل الأفكار والمعاني مع فرد آخر أو مجموعة من الأفراد.
- الكفاية التواصلية منطبقة على اللغتين المنطوقة والمكتوبة، وكذا الرموز المختلفة.
- تتطلب الكفاية التواصلية القدرة على اختيار اللغة والأسلوب من خلال المواقف المختلفة.
- الفرق الموجود بين الكفاية و الأداء: إذ أن الكفاية هي ما تعرف، بينما الأداء هو ما تفعل، والذي يعتبر الشيء الوحيد الذي يلاحظ، ومنه تتحدد الكفاية.
- الكفاية التواصلية نسبية وليست مطلقة.

ومنه نستخلص بأن هناك علاقة تكامل وتلاحم تجمع ما بين الكفائتين اللغوية والتواصلية.

وتشكل الكفاية اللغوية جزءا مهما من الكفاية التواصلية إذ لا يستخدمها المتكلم بمعزل عن الكفاية اللغوية التي تتحدد من خلال القواعد اللغوية: صوتية، نحوية، دلالية، كما أن الكفاية التواصلية تتمثل في قدرة الفرد على استعمال هذه القواعد في التفاهم و التبادل و التواصل

مع الغير. فلا يمكن بذلك أن نتصور كفاية تواصلية من دون معرفتنا بالكفاية اللغوية، فمراعاة الكفائيتين هو الذي يحقق لنا المستوى المطلوب من التواصل.

3- الفرق بين الكفائيتين اللغوية والتواصلية: لقد ميّز جنّيح بين الكفاية اللغوية والتواصلية كما يلي:

*من حيث نوع المعرفة: تشمل الكفاية اللغوية على المعرفة الضمنية أو الكامنة الخاصة بالتراكيب اللغوية، بينما تشمل الكفاية الاتصالية على المعرفة الضمنية اللغوية أو الكامنة الخاصة باستعمال اللغة في مواقف اجتماعية و ثقافية²⁹ بمعنى أن الكفاية اللغوية تركز على السياق اللغوي الذي يربط بين التراكيب ودلالاتها، بينما الكفاية التواصلية تعتمد على السياقات الاجتماعية و الثقافية التي تربط بين اللغة و أبعادها التواصلية. *من حيث القواعد الحاكمة: "الكفاية اللغوية تحكمها قواعد معينة، وهي القواعد اللغوية، بينما تحكم الكفاية التواصلية قواعد أخرى خاصة بالعلاقة بين الأشخاص و*التنظيمات الاجتماعية والضوابط الثقافية".³⁰ أي أن الكفاية اللغوية لها قواعد لغوية (صوتية، صرفية، تركيبية ودلالية) بينما الكفاية التواصلية قواعد متعلقة بالعلاقات الاجتماعية والثقافية التي تربط الأشخاص فيما بينهم.

*من حيث إنتاج اللغة: الكفاية اللغوية تزود الدارس بإمكانات التعميم لعدد غير محدود من الجمل، بينما تزود الكفاية التواصلية الدارس بالقدرة على تعميم أشكال السلوك التواصلية المناسبة لعدد غير محدود من المواقف الاجتماعية³¹. حيث أن الكفاية اللغوية تمكن الدارس من إنتاج عدد لا متناه من الجمل فتركز بذلك على الجانب اللغوي، أما الثانية فينصب اهتمامها على تزويد الفرد بعدد غير محدود من المواقف الاجتماعية المختلفة. *من حيث النحو: تهتم الكفاية اللغوية بالنسبة للنحو بمدى التزام الجمل بالقواعد النحوية المحددة، إن الشكل النحوي للجملة هي ما تختص به الكفاية اللغوية، بينما تختص الكفاية التواصلية بمدى مناسبة الجمل لسياقات محددة، الجانب الاجتماعي هو ما يشغل الكفاية التواصلية، وليس مجرد البنية النحوية للجمل³². بمعنى أن اهتمام الكفاية اللغوية ينصب على مدى التزام الجملة بالقواعد النحوية، بينما اهتمام الكفاية التواصلية يركز على مدى توافق الجمل مع السياق الذي وضعت فيه.

*من حيث اكتساب اللغة: يستند اكتساب الكفاية اللغوية على عوامل وراثية فطرية، وهذا موقف بينما تستند الكفاية التواصلية إلى عوامل ثقافية يواجهها الفرد خلال تعلمه³³، فالكفاية اللغوية مرتبطة بعوامل فطرية وهذا موقف اللساني تشومسكي فهي نعمة من الله عزوجل، بينما الكفاية التواصلية فهي مرتبطة بعوامل أخرى ثقافية واجتماعية ناتجة عن احتكاك الفرد بعالمه الخارجي.

*من حيث الأداء: "لا تنعكس الكفاية اللغوية بدقة على الأداء اللغوي، لأن الأداء اللغوي تتأثر بمجموعة من العوامل التي تتخطى حدود الجانب اللغوي بما في ذلك الكفاية التواصلية كما نجد أنّ الكفاية التواصلية لا تنعكس أيضا بدقة على الأداء الاتصالي ذلك لأن الأداء الاتصالي يتأثر أيضا بمجموعة من العوامل التي تتخطى حدود الاتصال نفسه مثل القلق"³⁴ فتركز الأولى على الجانب اللغوي و ليس على الأداء، يرجع إلى أن هذا الأخير يتأثر بمجموعة من العوامل، إضافة إلى أن الثانية لا تركز أيضا على الأداء الاتصالي كونه أيضا يتأثر بعوامل أخرى خارجة عن نطاقه.

*من حيث البنية: تتكون الكفاية اللغوية من بنية سطحية، وبنية متعمقة، بالإضافة إلى القواعد التحويلية، بينما يصعب الحديث عن هاتين البنيتين في الكفاية الاتصالية حيث لم تقطع الدراسات بمثل هذا الشيء للآن"³⁵، فالكفاية اللغوية تتكون من بنية سطحية تتمثل في الأداء، وبنية عميقة تتمثل في الكفاية اللغوية، إضافة إلى القواعد التحويلية، بينما الكفاية التواصلية فلم تصل إلى مثل هذه الدراسات بعد.

. - مكونات الكفاية التواصلية: للكفاية التواصلية أربعة مكونات أساسية، كما حددها ديل هايمز، من خلال تركيزه على هذا المفهوم (القدرة التواصلية)، وذلك في قوله: "هناك عدة مكونات للقدرة التواصلية والقدرة النحوية مكون من هذه المكونات 3"³⁶ وهي كالتالي: . أ- الكفاية النحوية: هي معرفة القواعد التركيبية والدلالية والصوتية، وهي نفسها كفاية تشومسكي اللغوية.

. ب- الكفاية السيكولوجية: تتمثل في العوامل النفسية واللسانية المؤثرة على المتكلم سواء في إنتاج أو فهم الكلام أو الخطاب.

ج- الكفاية السوسiolسانية: تتمثل في العلاقات الرابطة بين أطراف عملية التواصل والسياق الذي وردت فيه.

د- الكفاية الاحتمالية: هي القدرة على إنتاج الجمل التي تنتهي إلى مستوى الانجاز، ففي كثير من الأحيان نجد العديد من الجمل تكون قابلة للاستعمال، لكنها نادرة في استعمال المتخاطبين على خلاف جمل أخرى يتكرر استعمالها وتداولها بين الأفراد. وهناك تصنيف آخر لكانال وسوين (Canale et Swain) (والذي يعتبر أشهر تصنيف للكفاية التواصلية في التعليم، وهو الأكثر تداولاً في مؤلفات المتخصصين في ديداكتيك اللغات"³⁷، بحيث أنهما حددها في البداية في أربعة أنواع (نحوية، خطابية، اجتماعية، إستراتيجية)، غير أنهما أدمجا القدرة الخطابية ضمن القدرة السوسيوثقافية، وذلك في مقالهما الصادر عام 1980، فأصبحت بذلك ثلاث مكونات تتمثل فيما يلي³⁸ :

أ- الكفاية النحوية: هي معرفة القواعد الصوتية، النحوية، الصرفية، الدلالية.
ب. الكفاية السوسيوإنسانية: تتضمن نوعين من القواعد:

1. القواعد السوسيوثقافية: هي القدرة على استعمال السياق الاجتماعي والثقافي، أي التحكم في السياق الذي يجرى فيه الخطاب بين شخصين أو أكثر، إذ إن معرفة المتكلم بالظروف الاجتماعية والثقافية للخطاب أو الكلام يلعب دورا مهما في تحديد المعنى.
2. قواعد الخطاب: هي القواعد التي تساعد المتكلم على تكوين جمل وخطابات متماسكة ومتناسقة.

ج. الكفاية الاستراتيجية: هي معرفة استراتيجيات التواصل اللغوي وغير اللغوي، التي يعتمدها المتكلمون أثناء التواصل فيما بينهم، والتي تعينهم على تجاوز المشاكل المعرقة للعملية التواصلية إذ ينبغي بحسب كنال وسويس أن نكسب المتعلم إياها في المراحل الأولى من التعليم "، فهي تساهم في استخدام الاستعارات والمجازات، وكذا استخدام لغة الجسد (حركات، تعبيرات الوجه)...

خاتمة:

بعد تناولنا لمجموعة من النقاط تتعلق بفاعلية تعليمية الظواهر اللغوية في كفاءة اللغة و التواصل لدى المتعلمين خلصنا إلى النتائج التالية:

- أن تعليمية الظواهر اللغوية في العملية التعليمية التعليمية غايتها إكساب المتعلمين ممارسات لغوية ثم تواصلية داخل القسم وخارجه، وهنا تتحقق مؤشرات الكفاءة.
- أن تحقيق الكفاءتين اللغوية والتواصلية في تعليمية الظواهر اللغوية يحتاج إلى معلم متمكن لغويا وتواصليا ليتسنى له خلق فاعلية لدى متعلميه.
- أن تعليمية الظواهر اللغوية لا يمكنها أن تحقق الكفاءتين اللغوية والتواصلية دون عوامل: التركيز والاهتمام والممارسة.
- أنه يجب تغيير بعض الممارسات في تعليمية الظواهر اللغوية للوصول إلى تحقيق الكفاءات المختلفة والتي منها بعض الدروس التي يغلي عليها النظري، والمنهجية في طريقة تناول الدروس.

الهوامش:

1 - فعالية: www.ar.wikipedia.org/wiki، اطلع عليه بتاريخ: 2019-01-31

2- الفيروز آبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005، الطبعة: 8 ص 1043.

3- إبراهيم أنيس، "المعجم الوسيط"، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ط4، ص 695

4- مالك بن نبي، "تأملات"، 2004، ط1، ص: 125.

5- ماجد الكيلاني، "التربية والتجديد"، دار القلم، دبي، 2005، ط1.

- 6 - "الإيجابية حياة الأفراد والمجتمعات": لمحمد النادي ، دار النهضة، القاهرة، ط1، ص:11
- 7 - عبد الله قلي: التعليمية العامة والتعليميات الخاصة، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة، العدد 16 سنة 2002
ص:118
- 8 - محمد سيف الإسلام بوفلاقة ، مفهوم التعليمية، البصائر، 2018-02-23، elbassair.org، أطلع عليه بتاريخ:2019-01-25
- 9 - الأزهرى ، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط2001، ج1، ص:138
- 10 - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ج3، ص:471
- 11 - ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1997، ط3، ص:125
- 12 - ينظر: محمد السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1997، ط2، ص:65
- 13 - حسني عبد الباري عصر، تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، الدار الجامعية، الإسكندرية دط، 1996، 1997 ص261.
- 14 - طه علي الدليبي وسعاد عبد الكريم الوائلي، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية ، ص:193.
- 15 - الطاهر مرابي، المقاربة النصية قراءة في مقرر اللغة العربية ، مجلة الحوار المتمدن، العدد2074، 29 جويلية 2008م.
- 16 - الطاهر لوصيف، تعليمية النصوص و الأدب في مرحلة التعليم الثانوي الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، (2007، 2008م)، ص:2
- 17 - المجموعة المتخصصة لمادة اللغة العربية ، الوثيقة المرافقة لمنهج مادة اللغة العربية ، مرحلة التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية ، ص:03
- 18 - منهاج اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2004، ص:04.
- 19 - م مراح وك رأس العين، مقارنة الكفاءات ، دط، دت، ص:14.
- 20 - طيب نايت سليمان وآخرون، المقاربة بالكفاءات (مفاهيم بيداغوجية جديدة في التعليم، دار الأمل، تيزي وزو، ط1، سبتمبر، 2004، ص:26.
- 21 - دليل منهجي في التقويم التربوي، وزارة التربية الوطنية ، نوفمبر 2010، ص:08
- 22 - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزرقية، الاسكندرية، 2000، ص:337، 338.
- 23 - نفسه، ص:338
- 2424 - هادي نهر، الكفايات التواصلية والاتصالية، دراسات في اللغة والاعلام، ط1، دار الفكر، عمان، 2003، ص:88
- 25 - دوجلاس براون، أسس تعليم اللغة وتعليمها، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص:264
- 26 - نايف خرما وآخرون، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص:39
- 27 - رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية، ط1، دار الفكر العربي، سلطنة عمان، 2004، ص:137
- 28 - المرجع نفسه، ص 173-174 بتصرف.
- 29 - رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية، دار الفكر العربي - القاهرة ط: 2013، 1، ص:176
- 30 - المرجع السابق، ص:177
- 31 - نفسه، ص:177
- 32 - نفسه، ص:177
- 33 - نفسه، ص:177
- 34 - رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية، ص:177

- 35- أمحمد اسماعيلي علوي، التواصل الإنساني في دراسة لسانية، ط، 1، كنوز للمعرفة، الأردن، : 2001 ص. 114
- 36- المرجع نفسه، ص، 114 بتصرف.
- 37- كايسة عليك، المرجعية اللسانية للمقاربة التواصلية في تعليم اللغات وتعلمها، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري تيزي وزو،، 2015 ص. 118
- 38- أحمد اسماعيلي علوي، التواصل الإنساني دراسة لسانية، ط، 1، كنوز للمعرفة، الأردن، ، 2012 ص. 114